# نازك الملائكة

## والتجربة الشعرية

بقلم
الدكتور رزوق فرج رزوق
الاستاذ المشارك في قسم اللغة العربية

**الخلاصة :**

للتجربة الشعرية عند الشاعرة نازك الملائكة حرمتها ، ولها في شعرها اساس متين ومنطلق واضح .

وقد عنيت في هذا البحث بدراسة موضوع التجربة الشعرية في شعر الشاعرة ، فتخيرت طائفة من القصائد ، جلها من دواوين الشاعرة الثلاثة الاولى : عاشقة الليل ، وشظايا ورماد ، وقرارة الموجة ، وتحدثت عن تجاربها الشعرية في اربعة عوالم ، هي الذات ، والطبيعة، والمجتمع ، والانسانية . واشرت الى ما في تجاربها الذاتية من السمات الرومانسية ، وخصصت تجاربها الاجتماعية بمزيد من العناية والاهتمام .

وختمت البحث بذكر آراء النقاد في شعر الشاعرة وفي المذاهب الادبية التي انتمى اليها هذا الشعر في مراحل تطوره ، او اتسم بسماتها ، وفي التجارب الشعرية التي صورها او صدر عنها . وهي آراء متنوعة تلقي مزيدا من الاضواء على الشاعرة والتجربة الشعرية .

وقد افدت ، في اعداد هذا البحث ، من دواوين شعر الشاعرة وكتاباتها النقدية وآرائها التي ادلت بها في مقابلتين ادبيتين ، ثم من مجموعة من المصادر العربية والانكليزية لطائفة من النقاد والادباء المعروفين .

البحث :

مضى ذلك الزمن الذي كان فيه كثير من الشعراء ينظمون في كثير من الاحيان مـــا لم يحسوا ولم يجربوا ، فينفخون في ابواق صدئة توارثتها الافواه انغاما متعبة مضطربة ، يخفت فيهـا صوت الحياة ويعوزها الانسجام •

مضى ذلك الزمن ، او آن له ان يمضي ، وصارت التجربـــة الشعرية عند الشاعر والمتذوق والناقد موضـع الرعايـة والعنايـة والاحترام •

والتجربة الشعرية هي المنبع الذي تنبثق منه القصيـدة • هي نقطة انطلاق تبدأ ــ في أغلب الاحيان ــ صغيرة ، في حجر أصم أو زهرة وحيدة • في حكمة عابرة أو فكرة خاطرة ••• ثم تقبـل من كل مكان وزمان عواطف وافكار وصور وأخيلة ، بعضها نير وضاء وبعضها الآخر غائم ظليل ، ثم تتجسد كلها في الفاظ لها من المعـاني وظلال المعاني ما تعرفه وليس تعرفه المعجمات • الفاظ حية تتنفس وتتكلم وتكون شعرا •

ان التجربة الشعرية في قصيدة ما هي ــ كما يقول ت• س• اليوت ــ تجربة لحظة وحياة بكاملها معا • لحظة فريدة تهز الشـاعر أو تدهشه وقد ترعبه • لحظة لا تنسى ولا تتكرر في أعماقه • وهي ان لم تحي في تجربة اكبر منها واوسع ، وان لم تعش في احسـاس أعمق منها وأهدأ ، عدمت شأنها[1] •

وللتجربة الشعرية عند الشاعرة نازك الملائكة حرمتها ، ولها في شعرها أساس متين ومنطلق واضح •

وقد تخيرت هنا طائفة من قصائدها ، جلها من ديوانها « شظايا ورماد » وبعضها من ديوانيها « عاشـقة الليل » و « قرارة الموجة »

(1) T.S. Eliot, Selected Prose, p. 48.

وتحدثت عن تجاربها الشعرية ، في عوالم الذات والطبيعة والمجتمع والانسانية .

في قصيدة « سياط واصداء »[٢] نتاج تجربة اثارت في نفس الشاعرة كثيرا من الالم والثورة . « كانت الشاعرة في سيارة وكان على أرض الشارع المبللة جسد حصان ، وكانت السياط ترتفع ثم تهوي .. فلا تسقط الا على جرح ..!! »

التجربة هنا في منظر مؤلم ، مثير .. منظر يمر به كثير من الناس القساة غير عابئين ، ما دامت السياط لا تقع على اجسامهم . ولكن الامر عند أهل الاحساس والشعور ذو شأن ، لا يقلل منه ان العذاب ينصب على حيوان أعجم .

وتجلس الشاعرة في وحدتها فتذكر كل شيء رأته في ذلك الصباح . الحصان الدامي الجروح على أرض الشارع ، والسياط الهاوية على جسده ، فلا تكاد تذكر ذلك حتى يثور احساسها عنيفا مثلما ثار حين رأت المنظر ، وتعذبها الذكرى فتتمنى لو كانت عمياء صماء ، ولو كان قلبها صخرا لا يعذبه الشعور .

ثم تعود الى الخيل اللاهثة الظامئة على أحجار الطريق وتذكر دماءها الجامدة . وتفكر وتتأمل ثم تنطلق أفكارها وعواطفها الى افق وسيع ، فلا تعود التجربة منحصرة ضمن نطاق المنظر المثير المؤلم ، بل تمتد فتشمل فكرة الخير والشر في الانسان ، في قولها :

يا نار عاطفتي الرقيقة ، يا غريبة في البشر
وقع السياط على الظهور أشد من وقع القدر
والحس في هذا الوجود جريمة لا تغتفر !
لن تقتلي الشيطان في الانسان أو تحيي الملاك
وغدا ستطويك الليالي في دياجير الهلاك
وغدا سيأسرك التراب فلا شعور ولا حراك !

---

(٢) عاشقة الليل ٣٩ـ٤٠ .

أما قصيدة « الفيضان »[٣] فتقرر في شأن التجربة امرا ذا بال • فقد كان الفيضان موضوع ثلاث قصائد نظمتها الشاعرة وسمتها « صوت التشاؤم » و « صوت الامل » و « صوت الشاعر » • وليس الذي يلفت النظر الى هذا الامر عدد ما أثارته التجربة من قصائد • فمن المقرر في علم النفس ان المنبه الواحد قد يثير أكثر من رجع ، ولكن المهم في الامر أن القصائد الثلاث قد تناقضت ، واتجهت الى التشاؤم حينا ، والى التفاؤل حينا اخر • فكيف حدث ذلك ؟

ان الشاعر اذ تهزه تجربة ما قلما يبادر الى نظم قصيدته ، انه يتمهل حينا حتى تنمو في أعماقه ، وتظل تتحفز للانطلاق ، فاذا انطلقت لم تظهر متماسكة متصلة ، وانما تكون قطعا وشظايا يعمل فيها الشاعر فنه ، فتتصل القطعة بالقطعة وتلتئم الشظية مع الشظية • واذا هي بعد التنقيح المجهد تتاج فني •

والشاعر في هذه العملية يختار ما يشاء وينفي ما يشاء ، وبذلك تصفو القصيدة وتتوحد •

أما الذي حدث عند الشاعرة فهو انها في « صوت التشاؤم » ولعله أقرب الى طبيعة شعرها في الديوان قد اختارت لقصيدتها ما يجري في هذا المجرى الكئيب ، وتركت الخواطر والصور التي لا تأتلف معه وحيدة تنتظر •• ولكن انتظارها لم يطل !

ان عاشقة الليل حزينة فها هي ذي عند شاطيء النهر ، تصغي في الدياجي الى انين الرياح والامواج ، وتأسى للحقل الغريق • ثم ينطلق بها الخيال الى القرية والبائسين غرقى الفيضان ومنكوبيه • وتنتهي في هذه الصورة الى هذا الاطار •

عبثا !! فالحياة سنتها الحزن •• وحكم الآهات والدمع جار

وفي « صوت الامل » ــ والامل كثيرا ما ينبع من الالم ــ تنقل الشاعرة التجربة الى نطاق فسيح ، وتتسع المرائي والمشاهد أمام

---

(٣) المصدر نفسه ١٢٠-١٢٢ •

ناظريها ونراها تحاول أن تغرق كآبتها في موجة من الامل العنيد .

انها تركب زورق الامل ، غير خائفة من الظلام والعباب الطامي ، رياح الاقدار والايام ، وتهتف به : أن سر ، فسوف تصفو الامواج ويخبو الاعصار ، وتضحك النخيل للشط ، ويعود الصفاء الى الوادي.

وفي « صوت الشاعر » ــ وقد تجنبت نازك أن تسميه صوت انشاعرة ، لانها رددته قبل الان مرتين ، متشائما مرة ، ومتفائلا اخرى ــ تتحدث عن شاعر خيالي حالم ، يقضي يومه في الاوهام والالحان ، ويحب كل ما في الطبيعة فهو « عاشق الصحو والغيوم الحزينات » وهو « شادي الضياء والظلماء » وهو « صوت الأموات والاحياء » .

ونجد التجربة انسانية صادقة والانفعال وجدانيا عميقافي قصيدتها «كبرياء»[٤] ، ففي هذه القصيدة تتحدث الشاعرة عن سر أدمعها ، وعن حيرتها بين الكلام والصمت . وانها لتبدأ حديثها في هدوء وادع وانسياب متأن . ولكنه هدوء البحر الخضم يخفي تحته الغور العميق.

ها هي ذي تقول :

لا تسلني عن سر أدمعي الحرى فبعض الاسرار يأبى الوضوحا
بعضها يؤثر الحياة وراء الحس لغزاً وان يكن مجروحا
بعضها ان كشفته يستحل حباً مهاناً يموت موتا حزينا
بعضها بعضها تكبّر أن يكشف عما وراءه او يبينا
ومئات الاسرار تكمن في دمعة حزن تلوح في مقلتين

(٤) شظايا ورماد ٢٤ـ٢٦ . قالت الشاعرة في الاجابة على سؤال عما تفضله من قصائدها : اني احب قصيدتي « شجرة القمر » و « اغنية حب للكلمات » حبا خاصا لايبادلني اياه الجمهور . غير اننا نلتقي على ايثار قصائدي « كبرياء » و « يوتوبيا الضائعة » و « الخيط المشدود في شجرة السرو » و « النهر العاشق » . ومن قصائدي التي يحبها الجمهور ولا اتحمس لها : « انا » و « اغنية لشمس الشتاء » . انظر « نازك الملائكة تخرج عن صمتها » مجلة المجلة ( بيروت ، شباط ١٩٥٧ ) ص ٢٩ .

ومئـــات الالغـــاز في ســـكتة تهتز خلف انطباقـــة الشفتين
وعيـــون وراء اهـــدابها اشباح يأس في حـــيرة وانكســـار
تؤثر الظـــل والظـــلام ارتياعـــاً من ضيـــاء يبوح بالاســـرار
وقلوب تضـــم اشـــلاءها فوق جراح ، وادمع ، وذهـــول
تؤثـــر المـــوت كبريـــاء ولا تنطق بالســـر ، بالرجاء الخجول
وشفاه تموت ظمأى ولا تســـأل : اين الرحيق ؟ ايـــن الكأس ؟
ونفوســـ تحس اعمق احســـاس وتبـــدو كأنهـــا لا تحسّ

ثم نجد عاطفتها تنتفض ، وتثير الرياح في ابياتها الاخرى ، فاذا هي صرخة نقمة وكآبة وكبرياء .

واكف تود لو مزقـــت ، لو قتلت ، لو تمردت في جنون
لو رأتها الحياة قالت : هـــدوء وادع في براءة وسكون
لو رأتها . ماذا ترى ؟ كل شيء مغرق خلف داكنات الستور
الف ستر ، والف ظل من الكبت عميق ،والف، قيد ونير !
لا تسلني ، لا تجرح السر في قلبي، ولا تمح كبرياء سكوتي
لو تكلمت كان في كل لفظ قبر حلم ، وفجر جرح مميت
لو تكلمت ، كيف ترتعش الاشعار حزناً وترتمي في عيـــاء
لو كشفت السر العميق فماذا يتبقى مني سوى الاشلاء ؟
لو تكلمت ، رعشـــة في حياتي وكيـــاني تلح ان اتكلم
وسكوتي العميق يكتم انفاسي ، وقلبي يكـــاد ان يتحطم
لو تكلمت ، لو سكت ، نداءان عميقان كالحياة استعارا
تتلاقى عليهما كل اســـراري فابقى شـــعرا وحبا ونـــارا
وتظل الحياة تخلق من وجهي قنـــاعاً صلداً يفيض رياء
جامداً ، بارداً ، اصماً ، ويخفي بعض شيء سميته كبرياء

لقد استطاعت الشاعرة أن تنقل تجربتها الوجدانية حيـــة الى قلوب قارئي قصيدتها ، في بحر مطواع يضم الموجة الهادئة ، والموجة الغضوب ، وان تصل في رحلتها الشعرية الى اغوار بعيدة من النفس الانسانية .

اما قصيدة « تهم »[٥] فتهدف بها الى الرد على ناقديها الذين يأخذون عليها انها تحلق خلف سراب النجوم ، وانها انانية ، خيالية ، صوفية ، عاشقة للظلام .. ان كل ما سمعته وقرأته من اقوالهم يجتمع الآن .. لتهزمه في ثورة من ثورات عاطفتها الجياشة وومضة من ومضات روحها الساخرة .

أنانية وأحب البشر ... خيالية وحياتي تسير
خريفية واحب الزهر ... وعاطفتي لهب من شعور
أحب الظلام ولكنني ... أثور على كل أحلامكم
أحب الحياة على انني ... أحقر موكب أيامكم
يقولون لكنني تائهة ... ألوذ بصمتي الخفي الغريب
أعيش حياتي كالآلهه ... وقلبي شعور وروحي لهيب
يقولون : دعهم غدا يعملون ... ودعني أنا للشذا والجمال
أحب الحياة بقلبي العميق ... وأمزج واقعها بالخيال
أحب الطبيعة حب جنون ... أحب النخيل أحب الجبال
وأعشق ذاتي ففي عمقها ... خيال وجود عميق الظلال
وأهتف يانار قلبي الغريب ... وموج أحاسيسي الثائرة
اذا اتهموا فلماذا أجيب ... بغير ابتسامتي الساخرة ؟

اما القصائد « الخيط المشدود في شجرة السرو »[٦] و« مر القطار »[٧] و «الافعوان»[٨] و «خرافات»[٩] فخير أن ادع الشاعرة التي ابدعتها تتحدث عنها . قالت في مقدمة الديوان :

« ... في قصيدة ( الخيط المشدود في شجرة السرو ) حاولت رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شابا فوجيء

---

(٥) المصدر نفسه ١٥٢-١٥٥ .
(٦) المصدر نفسه ١٦١-١٧٠ .
(٧) المصدر نفسه ٤٥-٥٠ .
(٨) المصدر نفسه ٦٢-٦٨ .
(٩) المصدر نفسه ٦٩-٧٣

بنبأ موت حبيبته • وسيلاحظ ان القصة العاطفية في هـذه القصيدة ثانوية الاهمية بالنسبة للخيط المشدود في الشجرة وما كان لـه من صلة بشرود الشاب المصدوم ، وحالة الهذيان الداخلي التي اعترته • فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التي تعتري انسانا يتلقى نبأ مثيرا فاجعا ، لا يتوقعه فهو اذ ذاك يصاب بشرود كبير عميق ويبدو انه لم يسمع النبأ • ويتلفت حوله فتعلق عيناه بأول شيء تافـه تصادفانه ، فيغرق في التفكير فيه • وقد كان الشيء التافه في هـذه القصيدة هو الخيط • كان مشدودا في شجرة سرو تقوم عند الباب ، فانشغل العقل المصدوم بالتفكير فيه ، وبقي منشغلا حتى عاد اليه وعيه وادرك فداحة المأساة التي نزلت به •

ولن يعثر القاريء على شيء مثير في قصيـدة « مر القطار » ان هو توقع ان يجد فيها وصفا للقطار او لرحلة القطار • فقد كـان غرضي الاساسي من كتابتها ان اعبر عن الشعور الغامض الذي يحسه المسافر ليلا بالدرجة الثالثة من القطار • فهناك حالة التعب الكلي التي يجد فيها المرء نفسه مشوبة بلون من الكسل والارتخاء • وهنـاك صوت عجلات القطار الرتيب الذي لا يتغير ، ولون الغبار المتراكم على كل شيء • على الحقائب وعلى الوجوه والثياب • ثم هنـاك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار صفوفا • والقطار يصفر بين حين وحين فيثير احساسا غريبا في النفس • كل ذلـك والسكون يغمر العربة التي نام اغلبية الموجودين فيها وهم جالسون على مقاعدهم• وبين فترة واخرى يصدف ان يتثاءب مسافر غريب لا نعرفـه ويهتف بملل وبرود : « كم الساعة الآن ؟ او متى نصل ؟ او اين نحن ؟ » او مثل ذلك من العبارات فاذا احس قاريء « مر القطار » ببعض هـذا الجو كان ذلك حسبي•

اما قصيدة «الافعوان» فقد عبرت فيهـا عن الاحساس الخفي الذي يعترينا احيانا بان قوة مجهولة جبارة ، تطاردنا مطـاردة نفسيه ملحة • وكثيرا ما تكون هذه القوة مجموعة من الذكريات المحزنة او هي الندم ، او عادة نمقتها في سلوكنا الخارجي • او صورة مخيفـة

قابلناها فلم نعد نستطيع نسيانها ، او هي النفس بما لها من رغبات وما فيها من ضعف وشرود او اي شيء آخر .. فالامر متوقف على ذاتية القاريء وليس يعنيه ان اعيّن «افعواني» أنا . ذلك امر ثانوي، وانما المهم ان هذا الافعوان يطاردنا باستمرار وسدى نتهرب منه .

وفي قصيدة «خرافات» يجد القاريء لونا من الشعور احسه ، ويحسه كثيرون كلما ساد السكون مكانا . فاذ ذاك نسمع بأذن الروح الف قصة تقصها الاشياء الراكدة حولنا ، فالسياج يتكلم ويعيد ما كانت عنده من ذكريات وماتت و « قصائص الورق المزق » تحكي أقاصيص مثيرة عن حوادث بعيدة منسية و « الغبار » يقص قصة النسيان الذي تذروه العصور على كل شيء و «مقاعد الغرف القديمة» تحدث عن جيل من الناس مر بها يوما ثم انتقل الى افق مجهول ، وهكذا .. حتى يكاد الانسان الحساس لا يرى شيئا الا ويحسه يغمغم ويهمس ويطارده بالكلام »[١٠] .

ان الشاعرة تمتلك كثيرا من التجارب التي اغناها حسها المرهف وخيالها الطليق وفكرها النافذ . وهذه التجارب تظل راقدة في طوايا النفس وفي العقل واعيا وغير واع ، فاذا ما اندمجت الشاعرة في الحالة الشعرية وامسكت بالقلم تسجل قصيدتها انبثقت التجارب من مكانها ، فراحت الشاعرة تدني منها ما يجري في يسر مع تيار القصيدة . ومن امثلة هذا الصنيع قصيدتها « الخيط المشدود الى شجرة السرو » فان التجربة الشعرية ليست في الخيط الواهي القصير المربوط في شجرة السرو بل هي فيما وراءه ، فيما تستطيع هي بعيني شاعريتها ان تراه . لقد حلت الشاعرة الخيط المشدود الى شجرة السرو وشدته من جديد الى قصة حب فتى ماتت حبيبته فجلس واجما تحيط به اطياف وروءى قديمة ، وتجرح قلبه كآبة خرساء . ويبدو هنا ان الشاعرة وهي تعرض الصور والافكار في تتابع غير منتظم تنطلق وراء تيار الوعي ، وتفيد كما افاد كتاب القصة مما هو معروف في علم النفس باسم الارتباطات الحرة .

---

(١٠) المصدر نفسه ١٨-٢١ .

اما قصيدتها « يوتوبيا الضائعة »[11] فوليدة تجارب كثيرة ، وانها لتنبعث من ومضات مشرقة من الآمال والاحلام ، في عالم من الظلال والظلمات • هي حلم بيوتوبيا • بمدينة فاضلة تذوب فيها القيود ويمتد الشباب ويبقى الضياء • حلم ترى الشاعرة انه لن يتحقق ، فهي تصف يوتوبيا ، مدينتها المثالية ، بالضياع ولكنها ، وان أسيت لهذا الحلم اليتيم ، لاتيأس بل تظل محلقة مع الامنيات ،حتى الموت •

انها تهتف :

سأبقى تجاذبني الامنيات ... الى الافق السرمدي البعيد
وأحلم أحلم لا أستفيق ... إلا لأحلم حلما جديد
أقبل جدرانها في الخيال ... وأسأل عنها الفضاء المديد
وأسأل عنها انسكاب العطور ... وقطر الندى وركام الجليد
وأسأل حتى يموت السؤال ... على شفتي ويخبو النشيد
وحين أموت أموت وقلبي ... على موعد مع يوتوبيا !

واما قصيدتها «صراع»[12] فالتجربة فيها عميقة تعبر عن غموض النفس الانسانية وحيرة اجنحتها ، وعما فيها من عوالم ضبابيه مجهولة • والشاعرة اذ تحاول نقل تجربتها تتحدث عما تحس به من عواطف ومشاعر غريبة ، فهي تحب واذا قلبها جنون ، وتكره واذا قلبها لهيب، وتبكي واذا دمعها دماء، وتضحك واذا ضحكها سخريةوندم• تريد وتجهل ماتريد ، وتبلغ بها الحيرة اشدها فتصرخ :

أحب وأكره • ماذا أحب ... وأكره ؟ أي شعور عجيب ؟
وأبكي وأضحك • ماذا ترى ... يثير بكائي وضحكي الغريب ؟
أريد وأنفر • أي جنون ... حياتي ؟ أي صراع رهيب ؟
لماذا أغني ؟ لماذا أعيش ؟ ... ومنذا أصارعه ؟ من يجيب ؟

التجربة في هذه القصيدة تنقلها هذه العبارات الحائرة في متاهة

---

(١١) المصدر نفسه ٢٧ـ٣١ .
(١٢) المصدر نفسه ٣٥ـ٣٨ .

من علامات الاستفهام ، وترينا الشاعرة وهي تبحث عن طريقها بين المشاعر التي تتشابك كأغصان الشجر في اعماق الغابة النائية .

ولقد اعانها على عرض هذه التجربة متوحدة متلاحمة الاجزاء والعناصر، رغم عنفها وشدة انفعالها، هذا البحر الذي أحسنت اختياره لها ، فهو لتدفقه يجر وراءه القاريء من بيت الى ثان جرا متصلا ، فلا يتيح له ان ينطلق وراء الافكار التي تثيرها القصيدة ، فيوغل في البعد ، وينفرد ، ثم ينقطع في يديه هذا الخيط الشعوري الذي يربط القصيدة ، ويهبها شكلها المتكامل المتوحد .

والقصيدة التي عنوانها « عندما انبعث الماضي »[١٣] بنت تجربة تأملية ، ففي الليل تسمع روح الشاعرة صوتا ، هو صوت ماضيها . ولكن هذا الصوت يتسع ويتسع في اغفاءة الظلمة ، فاذا هو يحمل قصة عهد خالته الشاعرة مات ..

وتعرفنا الشاعرة بهذا الصوت . وتروي لنا حديثه فتقول :

ذلك الصوت الذي مر على سمعي امس
كان يوما رغبة تجهش في اعماق نفسي
كان حلما ذائبا في عبراتي
كان حبا تائها في امنياتي
ثم حطمت على ذكراه قيثاري ، وكأسي
عندما ضيعته ، تحت الضباب
وتعثرت باشلاء شبابي
وتهاويت على جثة احلامي ، وانسي !

ونقطة الانطلاق في التجربة الكامنه وراء قصيدتها « ماذا يقول النهر »[١٤] هذا السؤال الذي توجهه اليها واحدة من صديقاتها ، وهو سؤال تجيب عنه الشاعرة بهذه القصيدة ، مشيرة الى ثلاثة

---

(١٣) المصدر نفسه ٣٩-٤٤ .
(١٤) قرارة الموجة ١٠٦-١٠٩ .

تواريخ شهدها النهر فكانت له اقصوصة غزل راقصة ناعمة ، واغنية حنين دافئة خاشعة ، وتسبيحة معبـــدية تحمل البخور والذكريات العميقة .

ماذا يقول النهـــر ؟ اقصوصـــة ينسجها من رقص ضـــوء القمـــر
ينسجها من غـــزل ناعـــم يداعب النخـــل بـــه المنحـــدر
من نور مصباح يغـــذي الدجى حـــرارة ويســـتثير الشـــجر
من وقع مجـــداف خفيف الخطى يشق في الظلمة صـــدر النهـــر
ماذا يقول النهـــر ؟ اغنيـــة قديمـــة بنت ليـــال طـــوال
غنى أســـاها مـــرة عاشـــق والليـــل ســـكران بكأس الجمال
مثقـــلة بالـــدفء مـــازال في ألحانها بعض حنـــين الجمـــال
وخشعة الهـــودج تحت الـــدجى ووقع أقـــدام الحـــداة الثقـــال
ماذا يقول النهـــر ؟ تســـبيحة من بابل النشوى بسحر العطور
وموكب الكهـــان في معبـــد دجلة يطوي ســـره والصخـــور
وذكريات الليـــل والشـــمس عن ( مدينة الشمس ) وراء العصور
وعن ( حمورابي ) وعن حبـــه وما طوى سفر الزمـــان الغـــدور
ماذا يقول النهـــر ؟ لا تســـألي دعي غلاف الســـر كثـــا عميـــق
لو كشـــف الزنبـــق ألغـــازه لم يبق معنى لشـــذاه الرقيـــق !

ان هذه القصيدة تذكرني قصيدة للشـــاعر جون ميسفلد (١٥) عنوانها « حمولة السفن » فبين هيكلي القصيدتين شبه ، يشير الى توارد خواطر الشاعر والشاعرة .

---

(١٥) شاعر انكليزي معروف . ولد سنة ١٨٧٥ في ليفربول ، وفر الى البحر يعمل في ســـفنه التجارية وامتهن عـــدة مهن في الولايـــات المتحدة ، ثم عاد الى انكلترا واشتغل بالصحافة . نشر اول دواوينه الشعرية سنة ١٩٠٢ وظل دائبا على نظم الشعر وكتابة المقالات وبعض المسرحيات وكانت قصيدته القصصية الطويلة « الشفقة الدائمة » مبـــدأ شهرته . ثم كتب بعض القصص والدراسات الادبية والكتب التاريخية البحرية والتمثيليات الدينية . وفي سنة ١٩٣٠ جعل « شاعر الملك » .

ولقد عد الناقد الانكليزي هـ.ب. تشارلتن قصيدة « حمولة السفن » من اجود الشعر الانكليزي ، وخصها بتحليل ادبي دقيق بارع قد يفاد منه في تحليل قصيدة الشاعرة ، والقاء الضوء على تجربتها الشعرية .

قال :

« خذ هذه القصيدة التي انشأها امير الشعراء في انكلترا اليوم ( مستر ميسفيلد ) وعنوانها « حمولة السفن » . وما اظن هاتين اللفظتين تثيران في نفسك او في نفسي الا اتفه الصور وابرد المعاني ، فهما قد تستدعيان الى ذهنك وذهني صورة السفينة وقد حملت الاثقال فوق ظهرها ، وقد نسعن في انتقصي فنشم خلال الكلمتين رائحة البحر ، وتتعقب البضائع المحملة الى قواعدها عبر البحار ، ولكن انظركم سكبت اللفظة في نفس الشاعر من صور ومعان ! لقد اخرج من (الحمولة) قصيدة باسرها من اجود الشعر ، لا يتعمد ان يسوق فيها فكرة او يضمنها رأيا ، بل يكتفي بالنظر الى السفينة المحملة ثم يترك لشعوره العنان ، وهو في هذه القصيدة لايفعل شيئا سوى ان يترك لفظ (الحمولة) يفرغ شحنته في رأسه ، وما عليه بعد ذلك الا ان يخرج الصور التي كانت كامنة في اللفظ وانسكبت في نفسه ، وتستطيع وانت تقرأ القصيدة ان ترى الصور تتداعى واحدة في اثر واحدة ، كأن اللفظ شريط ملفوف ينحل وينبسط امام عينيك شيئا فشيئا : حمولة . سفينة . انواع السفن واحدة بعد اخرى . السفينة الثقيلة القديمة ذات المجاذيف الخمسة. السفينة الخفيفة التي استعملت في معارك البحر . السفينة التي تحمل اليوم تجارة العالم وصناعته وهكذا . وفي كل مرحلة من هذه الحلقات المتتابعة تنشأ في ذهن الشاعر صور فيعمل فيها فنه ، هذه يثبتها وتلك يمحوها . فلما وردت على ذهنه السفينة القديمة ذات المجاذيف الخمسة تلاحقت الصور كما يلي :نينوى . اوفير . ميناء . فلسطين . عاج .. الخ . حتى اذا ما اتم القصيدة كانت (الحمولة) قد افرغت ثلاثة عصور متباينة من عصور التاريخ ، فاعادت له عصر

سليمان بكل مجده وجلاله ، وعصر اليصابات بما فيه من مغامرات وحروب في البحر ، والعصر الحديث بسفنه التي تجوب البحـــار بتجارتها وصناعتها ، وكل هذه الصور وغيرها كانت مندسة في لفائف اللفظة الواحدة «حمولة» وما ان ادارها الشاعر في ذهنـــه حتى تفجرت مكنوناتها وازدحمت صورها في نفسه ، فأحس بما احســه العالم في عهوده الماضية • واذن فهو مؤرخ بمعنى الكلمة الصحيح ، لانه يستثير كوامن الماضي في نفسه ، او ان شئت فقل ان المـاضي يبعث الى الحياة من جديد في نفس الشاعر بعثاً على سبيل الحقيقة لا المجاز ، لانه سيعود حياً في وعيه وقلبـــه وشعوره ، ولا يظل معروضاً ــ كما يعرض في كتب التاريخ ــ في جمود القواقع الجافة التي تشير الى ما كان فيها من حياة ، دون ان تكون هي الحيـــاة نفسها ، على هذا النحو تفرغ الالفاظ ما اودعه المـاضي في جوفها ، كأنها تفعل ذلك بفعل السحر ••

وهو اذ يستعرض في القصيدة انواع السفن الثلاثة ،ويدع كل نوع منها يستدعي الى ذهنه سلسلة من الخواطر والـــذكريات ، وينتهي به الامر الى تصوير ثلاثة عصور من التاريخ لا يوازن بين الحياة في هذه العصور المختلفة ولا يزن كلا منها بما يراه له من قيمة وقدر ، بل يكتفي بان يبسط تجربة حية من كل عصر ، وللقارىء ان يتخذ من هذه التجربة التي يبسطها الشاعر تجربة كسائر ما تمده به الحياة من تجارب ، ثم له ان يجعلها موضعا لتفكيره وتأمله ، فتكون له مادة يكون منها في النهاية فلسفته الخاصة به • امـا الشاعر فلا يقدم له رأيا ولا فلسفة ، ويكتفي باسترجاع العناصر الحيوية التي طبعت « حمولة السفن » في الاعصر السوالف بطابعها • فـاول مـا يطلب من الشاعر ان يحيا في تجارب الماضي حياة جديدة باستخراج ما تكنه الالفاظ من تلك التجارب »[١٦] •

وهذا ما فعلته الشاعرة ايضا ، فقد صورت ثلاثـة من عصور

---

(١٦) فنون الادب ١٧ــ٢٠ •

تاريخ بلدها ، ولم توازن بين الحياة في هذه العصور المختلفة ، بل اكتفت بان تبسط تجربة حية من كل عصر ، عائدة من الحاضر الى الماضي .

العصر الاول الذي صورته هو العصر الحديث . وقد ابرزته من حلال منظر طبيعي رومانسي رأينا فيه عاشقة الليل امام النهر والقمر والمصابيح والزوارق .

والعصر الثاني هو العصر العربي الاسلامي . وقد عرضته لنا في صحراء تعبرها قافلة بحداتها وجمالها وهوادجها ، في دجى الليل .

والعصر الثالث هو العصر البابلي . وقد مثلته لنا بموكب الكهان في مدينة الشمس ، وبالملك حمورابي العاشق ـ لا المحارب او المشرع .

هل هذا كل ما يقوله النهر ؟

تجيب الشاعرة قائلة :

ماذا يقول النهر ؟ لا تسألي
دعي غلاف السر كثا عميق
لو كشف الزنبق ألغازه
لم يبق معنى لشذاه الرقيق

ولكن القصيدتين ، مع ما بينهما من شبه شكلي ، تختلفان في التجربة الشعرية الرائدة التي تصدر عنها كل واحدة منهما .

التجربة الشعرية الرائدة في قصيدة الشاعرة تجربة ذاتية عميقة القرار ، طويلة المدى .

هي تجربة الشعراء الرومانسيين طرا : كره المدينة وحب الطبيعة. هنا المدينة الظالمة تجرح القلب بعقدها وقبحها وشرها . وهناك الطبيعة الرحمة تبرىء الجراح بنقائها وحسنها وطيبتها .

الواقع في مدينة الشاعرة مر ممل :

قد سئمت الواقع المر الملا ... ولقد عدت خيالا مضمحلا
فاتركيني بخيالي أتسنى ... آه كاد اليأس يعروني لولا
انني لذت بأحلام السماء ... وتخيرت خيال الشعراء[١٧]

واهل المدينة الاشرار لا يفهمون اغاني القلب الشاعر :

قلبي الحر الذي لم يفهموه ... سوف يلقى في أغانيه العزاء
لا يظنوا أنهم قد سحقوه ... فهو مازال جمالا ونقاء
سوف تمضي في التسابيح سنوه ... وهم في الشر فجرا ومساء
في حضيض من أذاهم ألفوه ... مظلم لا حسن فيه لا ضياء[١٨]

ولا سبيل في المدينة الى الخير والحب والمثل العالية :

وعفت طموحي وبحثي الطويل
عن الخير والحب والمثل العالية
وحقرت سعيي الى عالم مستحيل
فخلف انخداعي تنتظر الهاوية[١٩]

ادن فلا بد من البعد عن مدينة كأنها وادي العبيد ، وعن ادميين كأنهم القرود والضباع الشرسه :

لا أريد العيش في وادي العبيد ... بين أموات وإن لم يدفنوا
جثث ترسف في أسر القيود ... وتماثيل اجتوتها الاعين
آدميون ولكن كالقرود ... وضباع شرسة لا تؤمن
أبداً أسمعهم عذب نشيدي ... وهم نوم عميق محزن[٢٠]

الى أين ؟

ويهتف لامرتين : « الطبيعة هناك . انها تدعوك وتحبك ، وانك

---

(١٧) عاشقة الليل ١٩ .
(١٨) المصدر نفسه
(١٩) شظايا ورماد ١٠٥-١٠٦ .
(٢٠) عاشقة الليل ١٩ .

لواجد فيها من حسن الفهم وطيب الصحة ما اخفقت في الحصول عليه في المجتمع » .

نعم . الطبيعة هناك . عند النهر القريب ، المنساب في هدوء والتماع وفرح .. والى هناك تمضي الشاعرة ، فترنو الى النهر الكاتم الحاني على المتأوهين وتسمعه شكاتها وتأنس بحنوه عليهاومواساته لها .

ثم تمتد التجربة .

تنظر الشاعرة الى الوراء فترى المدينة القريبة التي لابد من العودة اليها ـ الطبيعة هنا ملاذها الموقت ، أما المدينة فمسكنها الدائم ـ وتقرر ألا تعود وان تنطلق الى ملاذ اخر ، لا في مكان من هذه الارض ، بل في زمان بعيد من التاريخ حيث لا تصل اليها يد هذه المدينة . وتحمل الشاعرة النهر الحاني وتنطلق به عبر القرون في رحلة طويلة لا تقف فيها الا مرتين ، الاولى عند العصر الاسلامي وقوافله والثانية عند العصر البابلي ومعابده .

أما التجربة الرائدة في قصيدة الشاعر فغير تجربة الشاعرة .

ان سيرة الشاعر تنبئنا أنه قضى فترة من حياته بحارا ، وأنه عرف البحر حق المعرفة ، فمخر عبابه ، وأحبه وهابه ، فهو اذ يقف ـ في قصيدته ـ أمام البحر يواجه بحرا من ماء وملح وطريقا لاسطول تجارة جوال واسطول حرب صوال ، وهو اذ يرحل رحلته الخيالية الشعرية فوق أمواجه الهادرة الى مرافىء التاريخ القديم تقترن رحلته هذه بذكريات رحلاته الحقيقية القديمة على متن السفن البحرية الى قصي الموانيء والامصار .

واذا أضفنا الى ما ذكرناه ان الشاعر معروف باتجاهاته الواقعية في الشعر والدراما أمكننا ان نقول ان المشهد الذي رأته الشاعرة كان طبيعة جميلة وزوارق صيادين ونزهة سامرين ، اما المشهد الذي رأه الشاعر فكان طريق أسفار وسفن تجار ومغامرة بحارة،

وامكننا ان نخلص الى القول بأن الفرق بين التجربتين هو ان للاولى ـ وهي تجربة الشاعرة ـ منطلقا رومانسيا ، وان للثانية منطلقا واقعيا .

ولابد لي وقد ذكرت الرومانسية وما تجلى من سماتها في شعر الشاعرة من أن اقول انني اذ استعمل مصطلح الرومانسية اريد به معناه الادبي النقدي الصحيح العادل لا المعنى المستحدث المائل الذي يفهم من كتابات بعض الكتاب المحدثين ، واريد ايضا بوصف هذا الشعر بالرومانسية عونا على توضيح صورته وبيان هويته ، غير متعمد مدح هذا الشعر باسباغ محاسن الرومانسية عليه ، وغير قاصد ذمه بنسبة مساوىء الرومانسية اليه .

واشير في هذا المجال الى أهمية ما قاله ت. س. اليوت في موضوع تصنيف الشعراء وفقا للمذاهب الادبية وما يلحق بالشعر من أضرار ادبية تبعا لهذا التصنيف وفيما يعقبه من اصدار الاحكام النقدية التي لا تسلم من التحيز في اغلب الاحيان .

قال الشاعر الناقد :

« ليست الرومانسية والكلاسية من الامور التي في وسع الادباء المبدعين ان يفرطوا في الاكتراث لها ، او في امكانهم ، كقاعدة عامة ، ان ينشغلوا بها عمليا انشغالا كثيرا . ان الادباء من وقت الى اخر قد اعلموا نفوسهم بالرومانسية او الكلاسية ، كما انهم تجمعوا مابين حين وحين تحت أسماء أخرى . وهذه الأسماء التي يتسمى بها الادباء والفنانون انما تحلو عند اساتذة الادب ومؤرخيه ، ولا ينبغي ان يأخذها سواهم ما خذ الجد ، فقيمتها الرئيسة عارضة وسياسية ـ وهي ببساطة المساعدة على تعريف الجمهور المعاصر بالادباء . وعندي أن أي شاعر تعمد ان ينظم شعرا رومانسيا او كلاسيا لم يجن لنفسه شيئا غير الاساءة اليها .

اننا لا نعني معنى واحدا عندما نتحدث عن اديب بوصفه رومانسيا مثلما نفعل عندما نتحدث عن حقبة ادبية موصوفة

بالرومانسية . وفضلا عن ذلك ، قد يكون في فكرنا ، في أية مناسبة خاصة محاسن ومساوىء معينة ربطت ، بكثير من الحق أو بقليل منه ، بهذا المصطلح او بذاك . وانه لمن المشكوك فيه ان يكون ثمة مجموع تام من المحاسن او المساوىء يمكن ان ينسب الى احد الجانبين . ان فرصة سوء الفهم المنهجي والجدل العقيم تغدو نتيجة لذلك في غاية المثالية ، ودراسة موضوع ما تصير غالبا مسيرة بتهيج العاطفة الجامحة والتحيز لابالعقل»[٢١] .

التجربة الاجتماعية :

ونقف بعد هذا عند قصيدتها « غسلا للعار »[٢٢] وهي واحدة من قصائد قليلة عبرت بها بشكل محدد مسمى عن واحدة من القضايا الاجتماعية البارزة التي لم تلق من الاهتمام ممن ينبغي ان يهمهم امرها ماهي حرية بأن تلقاه .

في هذه القصيدة اربعة مشاهد :

١ ـ القاتل والضحية
٢ ـ القاتل والناس
٣ ـ القاتل والفتيات
٤ ـ الشاعرة والفتيات

نرى في المشهد الاول الجريمة ترتكب امامنا :

« أماه ! » وحشرجة ودموع وسواد
وانبجس الدم واختلج الجسم المطعون
والشعر المتموج عشش فيه الطين
« أماه ! » ولم يسمعها الا الجلاد
وغدا سيجيء الفجر وتصحو الاوراد

---

(21) T.S Eliot, Selected Prose, p. 31.

(٢٢) قرارة الموجة ١٤٥ـ١٤٨ .

والعشرون تنادي والامل المفتون
فتجيب المرجة والازهار
رحلت عنا .. غسلا للعار

ويظهر القاتل في المشهد الثاني في حانة يشرب خمرتها ويغازل غانيتها ويفخر بغسل العار :

ويعود الجلاد الوحشي ويلقى الناس
العار ؟ ويمسح مديته ـ مزقنا العار
ورجعنا فضلاء بيض السمعة احرار
يارب الحانة ، أين الخمر ؟ واين الكاس ؟
ناد الغانية الكسلى العاطرة الانفاس
افدي عينيها بالقرآن وبالاقدار
املأ كاساتك يا جزار
وعلى المقتولة غسل العار

ونراه في المشهد الثالث يحمل الى جارات القتيلة الهلعات خبر مصرعها :

وسيأتي الفجر وتسأل عنها الفتيات
« أين تراها ؟ » فيرد الوحش « قتلناها
وصمة عار في جبهتنا وغسلناها »
وستحكي قصتها السوداء الجارات
وسترويها في الحارة حتى النخلات
حتى الابواب الخشبية لن تنساها
وستهمسها حتى الاحجار
غسلا للعار
غسلا للعار

وترى في المشهد الرابع الشاعرة وفتيات القرية جارات القتيلة . لقد رأت الشاعرة الجريمة المدللة ترتكب في الشارع الخالي ، ورأت

القاتل يزهو بجريمته بين الرجال السكارى في الحانة ، وبين الفتيات الواجمات في القرية .

الشاهدة المروعة الغضبى الحزينة التي ظلت صامتة في المشاهد الثلاثة السابقة تتكلم في المشهد الرابع بصوت عال . تقف بين بنات جنسها المفجوعات لتتحدث عما شهدن ، ولتبكي الضحية وتواسي الفتيات ، ولتقود بصوتها الغاضب الشجاع اصواتهن الهامسة الخائفة في مظاهرة نسائية تحتج على الرجال في شارع يسوده الرجال :

يا جارات الحارة ، يا فتيات القرية
الخبز سنعجنه بدموع مآقينا
سنقص جدائلنا وسنسلخ أيدينا
لتظل ثيابهم بيض اللون نقية
لا بسمة ، لا فرحة ، لا امتة فالمدية
ترقبنا في قبضة والدنا واخينا
وغدا من يدري أي قفار
ستوارينا غسلا للعار ؟

ان احتفاء النقد الادبي بهذه القصيدة ومثيلاتها من شعر الشاعرة في ديوانها « قرارة الموجة » له مبرراته ، وفيه ما يدعوني الى بعض الاستطراد الذي يلقي الضوء على التجربة الاجتماعية في شعر الشاعرة وموقفها منها .

لقد لمع نجم الشاعرة في الافاق الادبية العراقية والعربية منذ اوائل الاربعينات لمعانا شديدا ، وقد حظيت ، بحق وجدارة ، بكثير من مديح النقاد وثناء الادباء واعجاب المتذوقين . الا ان هذا الهتاف الظافر الذي صحب رحلة الشاعرة في درب الشعر قد شابته اصوات أخرى تنتقد وتؤاخذ . وقد علت هذه الاصوات في انتقاد ما نسبته الى الشاعرة من مغالاة في الرومانسية ، وانغماس في التجربة الذاتية ،

وافراط في السلبية والانطواء والتشاؤم واغتراب عن العالم الخارجي ، وانعزال عن المجتمع[٢٣] .

ولقد آلمت حدة هذه الانتقادات الشاعرة واغضبتها فردت عليها ردا شعريا بقصيدتها « تهم »[٢٤] التي سبق الكلام عليها ، وردا نقديا غير مباشر بمقالة نشرتها اولا في مجلة « الاديب » البيروتية[٢٥] ، ثم في كتابها النقدي المعروف « قضايا الشعر المعاصر » فكان مما قالته :

« باتت الدعـوة الى اجتماعية الشـعر نبرة عصبية تطغى على الصحافة العربية طغيانا عاصفا .. وأول ما يؤخذ على هذه الدعوة التي تذهب الى أن الشعر يجب ان يكون « اجتماعيا » انها تتسلح بمجموعة من التعابير المبهمة التي لا تحاول تحديدها من نحو قولهم « الابراج العاجية » و « المتهربون من الواقع » و « الادب الشعبي » و « الشعراء الذاتيون » .. والدعوة بصورتها الحالية تحتمل نقدا جـديدا من جهاتها كلها ، فنيا وانسانيا ووطنيا وجماليا »[٢٦] .

ثم مضت في نقد هذه الدعوة في الجهات الاربع التي ذكرتهـا وختمت مقالتها بقولها :

« ألا تصبح الدعوة الى اجتماعية الشعر بهذا دعوة هدم ساذجة ينبغي ان نجند قوانا الذهنية كلها في كبح اندفاعها ورد سـذاجتها المستبدة عن الشعر العربي ؟ »[٢٧] .

---

(٢٣) اقرأ مثلا ما ذكره ابو سعد في كتابه « الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠–١٩٥٨ » ص ١٩١–١٩٢ ، ومـارون عبـود في كتابيـه « مجددون ومجترون » ص ١٨٦ و « على الطائر » ط٢ ص٢٥٧ ، و د. جلال الخياط في كتابه « الشعر العراقي الحديث – مرحلة وتطور » ص١٥٨–١٦٩ ، ومحيي الدين صبحي في كتابه «دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر» ص٩٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

(٢٤) شظايا ورماد ١٥٢–١٥٥ .

(٢٥) « الشعر والمجتمع » الاديب٧ (١٩٥٣) ص ٣–٥ ، ٧٦ .

(٢٦) قضايا الشعر المعاصر ٢٦١–٢٦٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ٢٦٩ . وانظر ايضا «نازك الملائكة تخرج من صمتها» مجلة المجلة ( بيروت ، شباط ١٩٥٧ ) ص٢٨ .

ولابد من القول ان الناقدة قد استهلت مقالتلاها بالاشارة الى عدم شكها في سلامة نية انصار هذه الدعوة وصدق ايمانهم بغـايتها ، ولكنها نسبت اليهم الاندفاع العاطفي مع الدعوة وابدت خشيتهـا من مغبة هذا الاندفاع على الشعر .

وغني عن البيان ان الشاعرة الناقدة لم ترفض ان يكون للشعر الاجتماعي مكان ، صغير أو كبير ، في شعرها او شعر سواها ،ولكنها رفضت ان يكون له كل المكان .

ومضت سنوات . وخفت حدة الهجوم وحماسة الدفاع .

ثم سمعنا الشاعرة تتحدث عن غلبة اتجاهات الرومانسية عليها ، وعن تشاؤمها المطلق من الحياة وخوفها من الموت في مرحلتها الشعرية الاولى ، مرحلة عاشقة الليل ، فتتفق في حديثها مع نقاد الأمس فـى بعض ما وصفوها به او انتقدوها من اجله .

ورد هذا الحديث في مقدمة مطولتها الشعرية « مأساة الحيـاة واغنية للانسان »[٢٨] التي تنتمي في صـورتها الاولى الى مرحـلة « عاشقة الليل » (١٩٤٧)[٢٩] . قالت :

« وسميتها ( مأساة الحياة ) وهو عنوان يـدل على تشـاؤمي المطلق وشعوري بأن الحياة كلها ألم وابهام وتعقيد .. كان المـوت يلوح لي مأساة الحياة الكبرى ، وذلك هو الشعور الذي حملته من

---

(٢٨) قالت : يضم الاثر الشعري الذي اضعه بين يدي القاريء في هذا الكتاب ثلاثة صور شعرية لقصيدة واحدة . اولها قد نظم بـين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٦ ، وثانيها قد نظم سنة ١٩٥٠ ، وثالثها متأخر التاريخ حتى ١٩٦٥ .

(٢٩) كان هذا الديوان قد حمل في صفحته الاخيرة اعلانا عن المطولة هذا نصه :
قريبا يصدر للشاعرة « مأساة الحياة » ـ ملحمة شعرية في الف ومائتي بيت و « شـظايا » مجموعة القصائـد التي كتبت بعـد عاشقة الليل .

أقصى أقاصي صباي الى سن متأخرة .. ولقد كانت ( مأساة الحياة ) صورة واضحة من اتجاهات الرومانسية التي غلبتني في سن العشرين وما تلته من سنوات . وكان من مشاعري اذ ذاك التشاؤم والخوف من الموت وهما مفتاح هذه الصورة الاولى من المطولة : ١٩٤٥[٣٠] .

ولكن هذا التشاؤم لم يكن ليعني عند الشاعرة كره الحياة ، بل يمكن القول انه يعني حب الحياة وينبع من هذا الحب . ان صوت الشاعرة لم يعل مثلما علا وهو يعلن حبها الحياة والشعر والطبيعة،في قصيدتها « تهم » .

ولقد اشار مارون عبود الى ذلك فقال : « وعندي ان كرهها الحياة ناشيء عن حبها لها . »[٣١]

وقال عبدالجبار داود البصري : « ان الاجواء المعتمة التي تتحرك فيها ليست هي اجواء نازك ، وبالتالي فان نازك لا تبحث في هذه القصيدة عن الليل والعتمة ، وانما هي انسانة متطلعة للمعرفة والعلم والحياة ، وتطلعها هذا يجعلها تبحث عنها في كل مكان وفي كل وقت ، واذن فهي تبحث عن نور المعرفة وسر الكائنات في الظلمة بجانب البحث ولا تبحث عن الظلمة ذاتها »[٣٢] .

والتفت الى موقف النقاد من قصيدتها « غسلا للعار » واخوات لها نحت فيها الشاعرة منحى واضحا جديدا ، وصورت بها تجارب شعرية متفتحة على المجتمع ملتزمة بقضاياه ومشاكله فأجد الرضى والاعجاب ، فمن ذلك ان الناقد عبدالجبار داود البصري رأى هذه القصيدة ، مستندا الى تاريخ نظمها[٣٣] ، من معالم مرحلة شعرية

---

(٣٠) ص ٦ ، ٧ ، ٩ .
(٣١) مجددون ومجترون ١٩٤ .
(٣٢) نازك الملائكة ـ الشعر والنظرية ٦٩ .
(٣٣) تاريخ نظم القصيدة كما جاء في « قرارة الموجة » ( بيروت ، ط١ ، ١٩٥٧ ) هو ١٩٥٢/٦/٢ الا اننا نجد للقصيدة تاريخ نظم آخر ، في الطبعة الثالثة من الديوان ( بيروت ، دار العودة ١٩٧١ ) هو ١٩٤٩/١١/١٦ .

متطورة في حياة الشاعرة يمثلها نتاج السنين ١٩٤٩ ــ ١٩٥٢ ، وان الشاعرة في السنتين الاخيرتين من هذه السنين الاربع عاشت في الولايات المتحدة ، وكانت قد رحلت اليها لدراسة الادب المقارن في احدى جامعاتها ، فكان لهذه الرحلة اثار ظهرت في شعرها بعد عودتها الى الوطن سنة ١٩٥٢، وقال «وربما كان اهم اثر من اثار الرحلة الامريكية التعاطف مع المرأة وتبني قضاياها والدفاع عنها بحرارة وقوة وشجاعة وهذا ما نجده في قصائد مرثية امرأة لا قيمة لها ، غسلا للعار ، شجرة القمر ، النائمة في الشارع[٣٤] ، الى اختي سها ، اسطورة عينين . أما قصيدة « غسلا للعار » فهي اجرأ دفاع عن المرأة يعالج المسألة الجنسية بصراحة ووضوح »[٣٥] .

وان ناقدا ثانيا رأى أن قصيدتها ( الى العام الجديد ) « دعوة صريحة للثورة ، وهي دعوة واعية لان في اعقابها سلسلة من القصائد الاجتماعية الناقمة هي ( النائمة في الشارع ) و ( مرثية امرأة لا قيمة لها ) و ( غسلا للعار ) و ( الشهيد ) و ( الراقصة المذبوحة ) . وهي قصائد تمتد ما بين ١٩٥٠ ــ ١٩٥٣ ، وتبلغ ذروة صراحتها في قصيدة ( الارض المحجبة ) حيث تقوم بمحاكمة علنية لمسببي الشقاء والكاذبين بوعودهم للشعب في رفع مستواه »[٣٦] .

ولم تكن قصيدة « غسلا للعار » القصيدة الاجتماعية الوحيدة

---

(٣٤) هذه القصيدة في صورتها الاولى ــ كما نشرت في جريدة «الوقت» البغدادية في العدد ٣ ( ٢١ آب ١٩٤٨ ) ص٣ ــ لاتنتمي الى هذه المرحلة ، بل الى المرحلة التي سبقتها . ولقد جاء في الجريدة المذكورة ان القصيدة من ديوان « شظايا ورماد » الذي كان قيد الطبع . ولكن القصيدة لم تظهر في الديوان عند صدوره . ثم عادت الى الظهور في ديوان الشاعرة الثالث « قرارة الموجة » بعد ان لحقها تنقيح كثير .

(٣٥) عبد الجبار داود البصري ، نازك الملائكة ــ الشعر والنظرية ص ١٤٧

(٣٦) محيي الدين صبحي ، دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر ص ١٣٩ .

في شعر نازك ، فقد صحبتها قصائد اجتماعية أخرى من جيد الشعر ورد ذكر طائفة منها فيما سبق من كلام . بل صحبتها قصائد سياسية عديدة ، فخلال الفترة الممتدة ما بين سنتي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٨ « كان عطاء نازك غير متناسب مع طول المدة ، ولكنه كان مواكبا للاحداث السياسية ومعبرا عن انتماء سياسي معين »[٣٧] .

وأول هذه القصائد قصيدتها « تحية للجمهورية العراقية » التي نظمتها تحية لثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ .

وتلتها سبع قصائد اخرى ضمها مع القصيدة الاولى ديوانها « شجرة القمر »[٣٨] .

وبهذه القصائد السياسية ، وهي من الشعر الملتزم في صميمه ، اغلقت الشاعرة باب النقاش حول شعرها والالتزام .

وأعود الان في ختام هذا البحث الى القاء نظرة عامة على قصائد ديوانها الاول « عاشقة الليل » الذي ينتمي الى المذهب الرومانسي ، وديوانها الثاني « شظايا ورماد » الذي ينتظم معظم قصائده مذهبان هما الرومانسي والرمزي ، فأقول أن التجارب الشعرية في الديوانين تنبعث غالبا من الذكريات الحزينة ، ومن التلفت الى الماضي والتعلق باستاره ، كما في القصائد « ذكريات ممحوة » و « ذكرى مولدي » و « الحياة المحترقة » و « عودة الغريب » و « شجرة الذكرى » وكما في القصائد « تواريخ قديمة وجديدة » و « عندما انبعث الماضي » و « عروق خامدة » و « الباحثة عن الغد » و « مرثية يوم تافه » و « غرباء » و « جنازة المرح »[٤٠] . وبعضها نتاج اليأس ، كما في « الخيال والواقع » و « ليلة مسطرة » و « على الجسر »[٤١] وكما في

---

(٣٧) نازك الملائكة ـ الشعر والنظرية ص ١٧١ .
(٣٨) انظر ص ٤٣ ، ٧٥ ، ٩٥ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٧٤ .
(٣٩) عاشقة الليل ٦ ، ١١ ، ١٥ ، ٤٩ ، ٨٦ .
(٤٠) شظايا ورماد ٣٢ ، ٣٩ ، ٥١ ، ٥٩ ، ٧٨ ، ١٠١ ، ١٣٢ .
(٤١) عاشقة الليل ٨٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ .

« جامعة الظلال » و « اجراس سوداء »[٤٢] . أو صوت صراع نفساني عاطفي يستحيل غضبا وتمردا ، كما في « ثورة على الشمس » و « قلب ميت »[٤٣] وكما في « صراع » و « الجرح الغاضب » و « وجوه ومرايا » و « قبر ينفجر » و « تهم »[٤٤] .

وللطبيعة نصيب من تجارب الشاعرة ، كما في قصيدة « الغروب »[٤٥] وكما في قصيدتها « في جبال الشمال » و « يوتوبيا في الجبال »[٤٦] ولكن اوفى قسط من هذا النصيب هو الليل فهو يثير في الشاعرة كثيرا من المشاعر ، فتحزن على الماضي ، وتثور على الحاضر ، وتنظر الى الغد يائسة حينا واملة حينا اخر ، كما في قصائدها « بين فكي الموت » و « على حافة الهوة » و « المقبرة الغريقة » و « الغروب » و « عاشقة الليل » و « خواطر مسائية » و « ليلة ممطرة » و « الى الشاعر كيتس » و « الفيضان ـ صوت التشاؤم »[٤٧] . وكما في قصائدها « مر القطار » و « جحود » و « مرثية يوم تافه » و « أنا » و « الكوليرا »[٤٨] .

وتبرز في كثير من قصائد « عاشقة الليل » صور النهر أو البحر وما يتصل بهما من سواحل وشطآن ومن زوارق وسفن ومن اعصار وفيضان ومن نجوم وغيوم ومن صيد وسفر . ولكن الشاعرة لا ترمي من وراء عرض هذه الصور الى مجرد الوصف والتصوير ، وانما تتخذ منها صورا شعرية ترمز بها الى الحياة ، فالبحر او النهر وما يتصل بهما رمز الحياة بكاملها ، والشواطيء رمز الواقع المر ، والزوارق والسفن رمز السفر والنجاة ، والنجوم والاشرعة رمز الامال التي

---

(٤٢) شظايا ورماد ٨٦ ، ٩١ .
(٤٣) عاشقة الليل ٢٠ ، ٩٥ .
(٤٤) شظايا ورماد ٣٥ ، ٥٤ ، ١٤٢ ، ١٤٥
(٤٥) عاشقة الليل ٥٢ .
(٤٦) شظايا ورماد ١٠٩ ، ١٣٥ .
(٤٧) عاشقة الليل .
(٤٨) شظايا ورماد ٤٥ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٩٧ ، ١٢١ .

تشجع المسافرين ، والرياح والغيوم رمز الصعاب التي تواجههم[٤٩] .

وللشعور الانساني الفسيح حظه من قصائد الشاعرة ، نحسه في قصيدتها « عيد الانسانية » التي نظمتها في يوم الهدنة سنة ١٩٤٥ و « انشودة الابدية »[٥٠] التي نظمتها بمناسبة مرور اربع وخمسين سنة على وفاة الموسيقار تشايكوفسكي ، وفي قصيدتها « لنكن اصدقاء » و « يوتوبيا في الجبال »[٥١] .

وهناك التجربة التي تدور على محورها اكثر القصائد .

انها الحب . تأبى ان تبوح به في « كبرياء » و « الغاز »[٥٢] وتبكي عليه في « نغمات مرتعشة » و « ذات مساء »[٥٣] ثم في « عروق خامدة » و « غرباء »[٥٤] وتنتظره في « بعد عام .. »[٥٥] وفي « مر القطار »[٥٦] . وتبحث عنه في « السفينة التائهة »[٥٧] وفي « الباحثة عن الغد »[٥٨] . وتحن اليه في « اشواق واحزان »[٥٩] وفي « نهاية السلم »[٦٠] . أو تروي قصته في « قلب ميت »[٦١] وفي قصة العاشق الذي فاجأه نبأ موت حبيبته ـ في « الخيط المشدود الى شجرة السرو »[٦٢] .

---

(٤٩) انظر عاشقة الليل ص ١٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٢ ، ١٢١ .

(٥٠) عاشقة الليل ١٠٣ ، ١٠٩ .

(٥١) شظايا ورماد ١٢٥ ، ١٣٥ .

(٥٢) المصدر نفسه ٢٤ ، ٨٢ .

(٥٣) عاشقة الليل ٤١ ، ٧٥ .

(٥٤) شظايا ورماد ٥١ ، ١٠١ .

(٥٥) عاشقة الليل ٩٨ .

(٥٦) شظايا ورماد ٤٥ .

(٥٧) عاشقة الليل ٩٢ .

(٥٨) شظايا ورماد ٥٩ .

(٥٩) عاشقة الليل ٦٢ .

(٦٠) شظايا ورماد ٩٣ .

(٦١) عاشقة الليل ٩٥ .

(٦٢) شظايا ورماد ١٦١ .

آراء نقـدية :

ولعل من المجدي في مجال هذا البحث ان نطلع ، في ختامه ، على طائفة من الاراء في شعر الشاعرة وفي المذاهب الادبية التي انتمى اليها هذا الشعر في مراحل تطوره او اتسم بسماتها ، وفي التجارب الشعرية التي صورها او صدر عنها ، بادئين برأي الشاعرة نفسها .

سئلت الشاعرة : ما هي اهم خصائص كل من دواوينك الاربعة التي صدرت لك منذ عام ١٩٤٧ وكيف تعرض هذه الدواوين مراحل التطور الشعري لديكم ؟

فقالت : « كان شعري خلال مرحلة ( عاشقة الليل ) غنائيا يعنى بالجرس الموسيقي للالفاظ ، وينبع جزء من موسيقاه من قوة العاطفة وتموجها . فقد كنت اذ ذاك اتخذ شعارا من كلمة لنيتشه نصها : ( ما قيمة فضيلتي ان كانت لم تستطع ان تخلق مني انسانا عاطفيا ؟ ) وربما كنت اذا ذاك اعتبر العواطف الحارة مغنية عن المعاني المعقدة فهي في ذاتها منبع حياة وخصوبة للشعر . وكان ذلك متفقا مع سن الثالثة والعشرين الذي كنت فيه . وكنت في ( عاشقة الليل ) اجهد جهدا واعيا في الابتعاد بالقصيدة العربية عن الخطابية الشائعة عند شعراء العرق ( او اغلبهم ) يومذاك محاولة انماء فكرة ( هيل القصيدة ) التي نضجت في مجموعاتي الشعرية التالية . وفي عام ١٩٤٩ صدر ديواني الثاني ( شظايا ورماد ) وفيه اتضحت سمات رمزية وربما سريالية خفيفة لا تخطئها العين البصيرة . وقد جنحت في هذا الشعر الى الفلسفة والخيال الذهني والفكر المبهم ، وان كانت العاطفية بقيت كامنة فيه ، احرص على عدم اظهارها فتظهر على صور غامضة رغما عني . ففي تلك الايام بدأت اضيق بالعواطف واجنح الى اعتبار المثقف عاقلا عميق الذهن اكثر منه عاطفيا . اما ديواني ( قرارة الموجة ) الصادر عام ١٩٤٧ فقد زدت فيه امعانا في الفكر والفلسفة وتعقدت قصائدي . غير ان التعبير اصبح اكثر غنائية وصفاء مما كان في ( شظايا ورماد ) . والفكرة الاساسية المسيطرة على هذا الديوان هي

( فكرة الزمن ) وقد وردت على اشكال شتى في قصائد كثيرة . واما ديواني الاخير ( شجرة القمر ) الصادر سنة ١٩٦٨ فان له ظروفا خاصة تجعله يختلف عن سائر المجموعات لانه يشمل جوانب من شعري على مدى خمسة عشر عاما منذ ١٩٥٢ وهذا الطول في الزمن جعل اسلوبي يتفاوت ويتطور عبر قصائد الديوان الواحد »(٦٣) .

وكان للشاعرة وديوانها « عاشقة الليل » نصيب طيب من عناية الناقد مارون عبود وقد استهل كلامه فيهما بقوله :

« هذه خنساء جديدة ــ ولكنها مثقفة ــ تطلع علينا في القرن العشرين بديوان شعر يدور حول موضوع واحد ، كديوان خنساء الزمان الغابر . تلك ذوبت شعرها دموعا على اخويها ، وهذه استحالت عواطفها شعرا حزينا كئيبا .. لقد ضربت نازك الرقم القياسي في الشعر الباكي فبذت بكائها والامها جميع شعرائنا الباكين حتى شيخهم الاكبر ... »(٦٤)

ثم تحدث عن قصيدتها « بعد عام » فقال انها « تصور لنا حالة نفسانية لم يتوفق شاعر ذكر الى قول احسن منها تحليلا عاطفيا عميقا .. وهذه القصيدة ، في نظري ، هي خير قصائد الديوان ، بل هي من الشعر الغنائي الرفيع . كانت العبارة والصور فيها طبعة سهلة الانقياد للشاعرة لانها صادرة من الاعماق ..»(٦٥) .

وعاد الى ذكر حزن الشاعرة ويأسها ودعاها الى رؤية بهجة الكون وتنويع موضوعات شعرها فقال :

« شعر الانسة نازك الملائكة لا غبار على فصاحته ، وفيه عاطفة

---

(٦٣) « شاعرة العراق الكبيرة نازك الملائكة في حديث خاص بمجلة البيان » العدد ٣٥ ( الكويت ــ شباط ١٩٦٩ ) ص ١٤ــ١٥ .

(٦٤) مجددون ومجترون ص ١٨٥ ــ ١٨٦ .

(٦٥) المصدر نفسه ص ١٨٨ ــ ١٨٩ .

نارها دائمة اللهب .. وهناك لون اخر في شعر نازك ، هو لون اليأس الاسود . فلتنزع الشاعرة نظارتها السوداء لترى بهجة الكون ، فقد كاد يكون موضوعها واحدا . ان المائدة ذات اللون الواحد لا تشبع النهم مهما كان اللون شهيا . فمن تراه يقرأ ديوان الخنساء من الجلد الى الجلد ؟ لا أحد .. »(٦٦) .

وقال ينقد ديوانها الثاني « شظايا ورماد » ويشير الى اتجاهاته الرمزية ، واعماقه الفكرية والتصوفية :

« هذا ديوان ثان عنوانه ( شظايا ورماد ) للشاعرة العراقية الانسة نازك الملائكة لقد تطرفت عاشقة الليل في ديوانها الجديد ، وكأنها قد ادركت ان شظاياها لا تؤلم ، ورمادها لا يطرف عينا ، فحاولت شرح ما تعني في مقدمة ديوانها .. لقد رأيتها في ديوانها الجديد تتجه نحو الرمزية اتجاها عنيفا . فهب انها وفقت في بعض خطراتها فانني اخشى عليها شر التطرف في الشعر ، والفكر والتصور ، والتصوف »(٦٧) .

وكان عبداللطيف شرارة في طليعة النقاد الذين نقدوا « عاشقة الليل » . وقد صدر نقده عن تحليل نفساني دقيق ونظر موضوعي سليم . تحدث عن ظاهرة الحزن في شعر الشاعرة فرأى انه ( حزن فكري ) نشأ عن تفكير في الحياة والموت من جهة ، وتأمل في الاحوال الانسانية من جهة ثانية ، وقال ان من فضائل هذا الشعر الحزين خلقه في قارئه ضربا من الصفاء الذهني بما يثير من صور واخيلة جذابة للهدوء ، واثارته روح الطهارة في القلب والنفس ، ومثل لهذا الضرب من الشعر بقصائد « الغروب » و « عاشقة الليل » و «بين فكي الموت» و « ثورة على الشمس » .

واشار الناقد الى ما خلفته مآسي الحرب العالمية الثانية من اثار

---

(٦٦) على الطائر ص ٢٥٧ .

(٦٧) دمقس وارجوان ـ تعليقات على هامش الشعر المعاصر ص١٦٢ .

في نفس الشاعرة وشعرها ، ورأى مثل هذه الظاهرة ايضا في شاعرة اوربية منحت انذاك جائزة نوبل في الاداب . اما الشاعرة فجبريلا مسترال واما شعرها فحزين كل الحزن[٦٨] .

وكان د. احسان عباس ايضا من النقاد الذين التفتوا الى الشاعرة في مطلع حياتها الشعرية ، ونقدوا شعرها . ولقد تحدث عن تطور الاتجاه الفني في هذا الشعر كما تجلى له في ديوانيها « عاشقة الليل » و « شظايا ورماد » ، فرأى ان الديوان الاول كان نهاية التجربة لا التجربة نفسها . وانه صورة لنهاية التجربة في اطار رومانسي غارق في الحزن والذهول . اما الديوان الثاني فرآه فلسفة للتجربة نفسها مستمدة من العالم النفسي مشمولة بحيرة هادئة وتحليل عميق. واضاف قائلا :

« وما اود ان اظلم الديوان الاول لازيد في رفعة الثاني ، وانما اذهب الى ان ديوان عاشقة الليل وحده لا يصور لنا شاعرة مجددة ذات مذهب فني واضح الحدود بادي الجدة بعيد العمق . ومن الطبيعي الا تكون الصلة بين الديوانين منقطعة .. لاشك اذن ان البذور الاولى التي استوت ثمرا من بعد هي مادة الديوان الاول .. وفي ديوان عاشقة الليل نواة صالحة من التأمل الفلسفي تتصل بمصير الانسان وقيمة الحياة والسديمية التي تغلف مبدأها ومنتهاها »[٦٩] .

ونقدت خزامى صبري « قرارة الموجة » نقدا موفقا فكان مما قالته ان الشاعرة تحيا مشكلتين هما الوحدة هذه التجربة التي تعقدت حتى غدت مشكلة ، والقلق والبحث عن الجديد البابعين من الملل والرغبة في الحياة . واشارت الى انكفاء الشاعرة الى نفسها فرأت فيه رفضا للحياة بشكلها القائم ، لكنه فرض ليس فيه مواجهة

---

(٦٨) « عاشقة الليل للانسة نازك الملائكة » ، مجلة الاديب ، العدد ٣ ( بيروت آذار ١٩٤٨ ) ، ص ٩١ ـ ٩٧ .

(٦٩) « تطور الاتجاه الفني في شعر نازك الملائكة » ، مجلة الاديب ، العدد ٤ ( ١٩٥٢ ) ص ٤٠ـ٤١ .

للمشكلة بل ابتعاد عنها . وهذا لا يعني ان الانكفاء جاء سلميا ففي أعماقها تضج ثورة انسانية باعمق معاني الانسانية[٧٠] .

ثم تحدثت عن الطابع الذاتي العام الذي يطبع شعر الشاعرة في هذا الديوان ، ورأت ، بنظرتها الواعية الدقيقة ، في تجاربه الذاتية انطباعات ومشاعر واصداء ومشاكل جماعية فقالت :

« قلت ان الطابع العام لشعرها ذاتي فهل يعني هذا ان الاخر منعدم بالنسبة لها وانها في برجها العاجي تناجي مثلها ؟ الحقيقة انها وان كانت قد انكفأت الى نفسها وبقيت في وحدتها الليلية الحالمة تناجي القمر والدجى وتشكو للرياح وتغني مشاعرها ، الا انها في انكفائها حملت معها الانطباعات والمشاعر والمشاكل الجماعية بقدر ما تسنى لها ان تعرف من هذه المشاعر والمشاكل . ولذلك فان بعض قصائدها مثل ( يحكى ان حفارين ) و ( اغنية لشمس الشتاء ) التي قد تكون قصدت فيها معنى شخصيا تظل توحي بمعنى جماعي او حالة جماعية تكون الشاعرة قد احستها وعاشتها حتى تركت فيها طابعها فغدت شعورا شخصيا . واعمق ما يكون الشاعر هو عندما يعيش التجربة الجماعية بحرارة وصدق تجعلانه يستقطب المشاعر الجماعية ويكثفها في ذاته حتى تبدو ذاته الينبوع الاصلي الذي تصدر عنه ــ والقارىء الواعي المثقف هو الذي يحس ما في هذا الاثر من مشاعر واصداء جماعية .. لكنها عندما تغني الاشياء خارج نفسها بشكل موضوعي يبدو احساسها اطلالة من النافذة لانه يأتي وصفا يلم بالموضوع من بعيد ويتقمصه في قصيدة « النائمة في الشارع »[٧١] ..

وقد كان لهذا النقد وقع طيب في نفس الشاعرة ، فكتبت الى

---

(٧٠) « قرارة الموجة لنازك الملائكة » مجلة شعر ٣ ( ١٩٥٧ ) ص ٩٢ ــ ٩٣ .

(٧١) المصدر نفسه ص ٩٤ .

المجلة التي نشرته تعبر عن اعجابها بما وفقت اليه كاتبته من « تحليل دقيق ونظرة صائبة ، وبما شخصته من ملامح ورؤيا لم يلتفت اليها سواها ممن كتبوا عن هذا الشعر .. »(٧٢) .

وتحدث احمد ابو سعد عن ( الاتجاه الذاتي الرومنطيقي ) في الشعر العراقي بعد الحرب العالمية الثانية فقال :

« بدأ هذا الاتجاه في اعقاب الحرب الثانية ، كما قدمنا ، وكان هو السمة الغالبة على الشعر في العراق منذ سنة ١٩٤١ الى سنة ١٩٤٨ ، حيث افلح بعضهم في التخلص من عقابيل هذا الداء ، واتجه نحو الشعر الواقعي وتجربة الشعر الحر ( البياتي والسياب ) بينما بقي بعضهم الاخر في تجربتهم الذاتية ونزعتهم السلبية ، يستوحون الشعر الرومنطيقي ويطعمونه بالشعر الوجودي والشعر السريالي ، وان كانوا استعملوا طريقة الشعر الحر ( نازك وبلند ) .

ترسم نازك واقرانها من ذوي هذا الاتجاه نفسية الجيل الذي نشأ في خلال الحرب ، وفتح عينه على الوجود فلم يجد فيه ما يسر .. فانطوى على ذاته ، وانسحب من الواقع الذي لم ينسجم معه .. »(٧٣)

وختم حديثه معلقا على اهتمام هؤلاء الشعراء بوجودهم الفردي وتجاربهم الذاتية :

« وان قولنا هذا لا يعني اننا ننكر على الشاعر فرديته او نعترض على تجربته الذاتية . كلا . فالذاتية في الشعر هي عنصر ضروري ، وهي التي تعطيه طابعه الخاص ، ولكننا نأمل من الشاعر ان يفهم تجربته الذاتية في ضوء واقعه الانساني العام ، لا في عالم ذهنه المجرد ، فتتسع حينئذ آفاقه ، وتكبر معانيه ، ويشتد تأثيره ،

---

(٧٢) مجلة شعر ٤ ( ١٩٥٧ ) .

(٧٣) الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠-١٩٥٨م ، دراسة ومختارات ، ص ٢٧-٢٨ .

ويبرأ شعره من العيب الذي ينعته به بعضهم حين يصفه بانه شعر انهزام وهروب يعالج التجربة في حيزها الانفعالي الذاتي المحض ، ولا يعيش المرحلة التاريخية التي تمر بها امته ، او يحمل شيئا من ملامح عصره • هذه هي ملاحظاتنا نسجلها ونحن مدركون ان اسراف هؤلاء في الاتجاه نحو الذات ليس الا رد فعل للاتجاه الذي زاد قبله في نكرانها ، وكلا الاتجاهين مخطىء • فالشعر ليس مجاله العالم الخارجي فقط ، ولا العالم الباطني فقط ، وانما مجاله كلا العالمين معا متحدين اتحادا يجعل من الذات شيئا موضوعيا ومن الموضوع شيئا ذاتيا »(٧٤) •

وتحدثت عائشة عبدالرحمن ( بنت الشاطيء ) عن اتجاهات لشعر النسوي المعاصر ، فكان لـ ( الاتجاه الخاص • سرّ حواء ) مستهل الحديث ، وكان لنازك وشعرها ـ في دواوينها الثلاثة الاولى ـ مكان عال رحيب • وكان مما تحدثت به قولها :

« والشاعرة المعاصرة لا تغني عواطفها مستعيرة لسان الرجل كما فعلت التيمورية ، وانما تعبر عن ذاتها اصالة وصراحة ، وقد اعفاها التحرر من ذلك التستر والاحتيال • وفي الميدان الادبي عدد من الشاعرات العربيات يترجمن عن مشاعر الانثى ويعبرن في شعرهن عن عالمها الوجداني الخاص • ولكن اكثرهن يغنين عواطفهن القريبة، دون ان ينفذن الى العمق المشحون بميراث الشجن •• لكن نازك الملائكة تبهرنا بالشدو على الوتر العميق الموغل في ذات حواء ، وبكل شجوها الموروث وعاطفيتها التي طالت عليها آماد الوأد واجهدها الظمأ طوال ادهار واحقاب • واشواقها عاطفة مستثارة ، غير مشوبة باي اثر من غريزة جنسية ، وجراحها وجدانية خالصة تكشف عن هموم حواء الكبار دون عري او ابتذال • والحزن الذي يسيطر على شعر نازك اصيل في حواء المؤودة والشجن المر الذي ينضح به كأسها ليس الا ميراثا طبيعيا من امهات لنا وجدات ، غبرت عليهن

---

(٧٤) المصدر نفسه ص ٣٠ .

قرون وهن مهدورات المشاعر ، مهدورات الوجود العاطفي الا على النحو الذي اراده لهن الرجال »[٧٥] .

وعادت الى الحديث عن نازك والتجربة الانسانية في شعرها في حديثها عن ( الاتجاه الانساني ) فمثلت لهـــذه التجربة بالقصائد : ( يوتوبيا في الجبال ) و ( المقبرة الغريقة ) و (التماثيل) و ( عيـد الانسانية ) و ( الخيبة ) و ( السـلم المنهار ) و ( طريق العودة ) و ( سخرية الرماد ) بعد ان قررت عسر التمييز بين مـا هو تعبير عن ذاتية خاصة وبين ما هو قومي او انساني في وجـــدان الشاعرة وشعرها . وخلصت الى القول : « ان كل معاناة ذاتية لشاعرة العصر ـ نازك الملائكة ـ هي من هذا الافق العالي الذي تصير به التجربة الفردية تجربة انسانية مشتركة مسجلة بهذا عمق ظاهرة الاندماج التي اشرت اليها في مطلع حديثي عن ( الاتجاه الانساني في الشعر النسوي المعاصر ) ومضيفة به قيمة جديدة للشعر العربى طالما شكونا اهتمامه البالغ بمظاهر الاشياء ، وانفعاله بقريب المشاعر . ففي مثل هـــذا المجال حققت شاعرة العصر تطورا حاسما في الشعر العربي ينقله من حدود الشكل والصورة الى الصميم والجوهر ، ويضيف اليه مـا اسميه ( البعد الثالث ) وهو الذي يلتفت اليه النقد الحديث ، بعـد ان كان النقاد القدامى يقفون عند البعد الطولي الـذي تقاس فيـه القصيدة بعدد ابياتها وتأخذ مكانها بين المطولات المأثورة ، وعنـد البعد العرضي الذي يجعل البحور العراض من الشـعر ميزة فحول الشعراء .

وتأتي نازك ـ ومعها عـــدد من شعراء العصر وشاعراته ـ فتجاوز به ابعاد الطول والعرض الى العمق الموغل في عوالم النفـس ومجالي الروح ودنى الوجدان ، على نحو لا اذكر ان العربية قـــد

---

(٧٥) الشاعرة العربية المعاصرة ص ٦٢-٦٣ .

عرفته في اكثر مشهوري شعرائنا الماضيين ، الا لمحا واستشرافا ومحاولة ..»[٧٦] .

وقال عبدالجبار داود البصري في مقالة نقدية ـ نقد بها « شجرة القمر » ، واشار فيها الى ما كشف عنه الديوان من تجارب جديدة في حياة الشاعرة :

« اما شاعرية نازك في شجرة القمر فنقطة البدء في دراستها قصيدة البعث [٧٧] سنة ١٩٦٢ لان في هذه القصيدة ما يكشف عن ظاهرة لتحول في حياتها العقلية والعاطفية بحيث تعدها اشراقة وانبعاثا وعلى ضوء هذه الاشراقة تكون الشاعرة قد اكملت دورة من تجارب حياتها في عاشقة الليل ـ شظايا ورماد ـ قرارة الموجة ، وبدأت دورة جديدة من تجارب الحياة في ( شجرة القمر) . كانت الدورة الاولى عملية تحرر من رواسب الماضي في نفسية المرأة العربية تخطتها نازك رويدا رويدا وتجاوزتها . اما الدورة الجديدة فهي مغامرة في كبد الحياة تبدأ بالاحتفال بالحياة والفرح بها فرحة غامرة .. »[٧٨] .

وخص محيي الدين صبحي الشاعرة بواحد من ابواب كتابه « دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر » وقد نقد فيه دواوينها « عاشقة الليل » و « شظايا ورماد » و « قرارة الموجة » . وكان مما قاله عن الشاعرة ومراحل تطور تجاربها :

« ففي ( عاشقة الليل ) كانت رومانسية ، وفي ( شظايا ورماد) عرفت ازمتها النفسية والفنية ، اما في ( قرارة الموجة ) فانها تحاول الجمع بين العمق والفن ، فتخلق رموزها وتروي حكاياتها بصوتها الهامس ولغتها المترفة . كما ان شعرها أصبح مغلفا بهالات من

---

(٧٦) المصدر نفسه ص ١١٧ـ١١٨ .
(٧٧) شجرة القمر ص ١٥٠ـ١٥٧ .
(٧٨) « شجرة القمر ـ ديوان شعر جديد لنازك الملائكة » مجلة الاجيال ١٣ ( ١٩٦٨ ) ص ١٩ .

الغموض والصور والانغـــام التي تتألف وتنطوي لتخفي المعنـى وتنقلها الى حياة مماثلة للتجربة التي عاشتها والقصة التي تسردها في قصيدتيها ( يحكي ان حفارين ) و ( صلاة الاشباح ) ما هي الا معادل موضوعي لتجربتها في الحيـــاة من حيث الاحساس بالعبث المضني والشحوب المجوف .. »(٧٩) .

وتضمن كتاب « الشعر العراقي الحديث ـ مرحلـة وتطور » فصلا خص به مؤلفه الدكتور جلال الخياط الشاعرة نازك الملائكة ، فعرّف بها ودرس شعرها دراسة نقدية .

واننا لواجدون في هذه الدراسة آراء في التجربة الشعرية التي صورها شعر الشاعرة او صـدر عنها . وهي آراء تحمل الكثير من اللوم والرفض والنزر من الرضى والقبول . فها هو ذا يقول :

« ان نظرة سريعة الى دواوينها الثلاثة ( عاشقة الليل . وشـظايا ورماد . وقرارة الموجة ) تجعلنا نؤمن ان الشاعرة كـانت تعيش في عالم خاص بنته بنفسها ، ذي حدود ضيقة جدا ، قوامـــه اليأس والالم ، والعيش في ذكريات الماضي ، والوحدة التي لا تجد لهـــا تفتحا الا في الصراحة الشعرية » .

ثم يقول :

« ان الشاعرة ذات حساسية مفرطـة ، وهي رومنتيكية تبحث لها عن عوالم بعيدة لا ظل لها من الواقع قد ترتفع احيانا الى مستوى الاعراض النفسية غير المألوفة » .

ويخلص الى القول :

« ان شعر نازك ـ اذن ـ في معظمه تجربة تكرر نفسها ، لانها شكت وبكت وتأوهت ولم يتطور الحزن عندها الى اشكال فنيـــة مبدعة ، كأن تخلع احساسها بالالم على الآخرين فتصور بؤســـهم

---

(٧٩) ص ١٢٧ـ١٢٨ .

ومشكلات حياتهم ومآسيهم الكثيرة فتبرز شخصيات حية عاشت مأساة الحياة فعلا باقاصيص او مسرحيات شعرية او بطرق في التعبير يجدر بمن ينسب لنفسه اختراع الشعر الحديث ان يبتكرها »[٨٠] .

ويعود الناقد الى الحب الذي كان محور قصائد كثيرة للشاعرة فينظر الى حقيقته بعين الشك ويقول :

« اني اشك ان هناك حبا حقيقيا يعتبر تجربة حية عبرت عنها دواوينها ، فقد كانت قصائدها في الحب تأوهات واشواقا غامضة مكبوتة وحرمانا اليما وتأثرا خارجيا بالشعراء العاطفيين »[٨١] .

وقد تحدث الناقد الادبي مصطفى عبداللطيف السحرتي عن التجارب الشعرية في « شظايا ورماد » و « قرارة الموجة » فرأى اغلبها تجارب تأملية باطنية وقال : « وممن احتفينا بشعرهم الجديد الذي يعد ظاهرة شعرية رائعة شعر الشاعرة المبدعة نازك الملائكة ، ففي ديوانيها « شظايا ورماد » و « قرارة الموجة » نجدها تخالف في موضوعاتها وتجاربها شعراء العربية ، فهي لا تتناول التجارب التأملية الحسية ، ولا التجارب التأملية الاجتماعية ، ولا التجارب الوصفية الحسية ، الا في النادر ، ولكنها تتناول التجارب التأملية الباطنية وتغرس في اغوار العقل الباطن مما لا عهد للشعر العربي به» .

ثم مثل لهذه التجارب الفريدة بقصيدتيها « ذكريات » و « الغاز » ثم بقصيدتها « عندما قتلت حبي » التي وصفها بانها من اعجب واعمق قصائد ديوانها « قرارة الموجة » وقصيدتها « الى العالم الجديد » التي لم تقف فيها عند تحليل نفسها بل حللت نفسيات الآخرين »[٨٢] .

وعاد في اثناء حديثه عن علم النفس والنقد الادبي الى ذكر

---

(٨٠) الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور ص ١٥٩ـ١٦١ .

(٨١) المصدر نفسه ص ١٦٨ .

(٨٢) النقد الادبي من خلال تجاربي ص ٢٠ـ٢٧ .

الطابع الانطوائي في الاعراب عن التجارب النفسية والذاتية والنزوع الى شعر الحلم والشعر الرمزي والسريالي ، والى القول بان الرجوع الى شعر نازك الملائكة في مرحلة حياتها الثانية يؤكد تأثير انطوائيتها في تجاربها الاستبطانية (٨٣) .

★

وبعد فما الشعر في سامي رتبته الا التجربة الشعرية التي ينقلها شاعر مبدع نقلا حيا الى الناس الذين يقرأون شعره أو يسمعونه ، فيرون ما رآه ، ويحسون ما احسه . وما هو بمن يقتصر على وصف المرائي والاخبار عنها .

ولعمري ان القصائد التي تحدثت عنها امثلة من هذا الشعر السامي المكانة ، فهي تصور التجربة خير تصوير ، وتنقلها ادق نقل ، فتعود حية في احاسيس الناس ، وتتجدد في اذهانهم ، فتغنى بها حيواتهم ، وتعمق احاسيسهم ، وتدق افكارهم ، وتنعم هي على امتداد الزمان وفي انفساح المكان بالعمر المديد المجيد .

---

(٨٣) المصدر نفسه ص ١٤٦ .

## المصـــــادر


**أبو سعد ، احمد**

الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠ـ١٩٥٨ دراسة ومختارات ، بيروت ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .

**اليوت ، ت.س.**

نثر متخير ( باللغة الانكليزية ) سلسلة كتب بنكوين ، ١٩٥٢ .

**البصري ، عبدالجبار داود**

١ ـ « شجرة القمر ـ ديوان شعر جديد لنازك الملائكة » مجلة الاجيال ، العدد ١٣ ( بغداد ١٩٦٨ ) ص ١٩ـ٢٣ .

٢ ـ نازك الملائكة ـ الشعر والنظرية ، بغداد ، سلسلة كتاب الجماهير ، ١٩٧١ .

**تشارلتن ، هـ.ر.**

فنون الادب ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة ، سلسلة الفكر الحديث ، ١٩٤٥ .

**الخياط ، د. جلال**

الشعر العراقي الحديث ـ مرحلة وتطور ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٧٠ .

**السحرتي ، مصطفى عبداللطيف**

النقد الادبي من خلال تجاربي ، القاهرة ، منشورات معهد الدراسات العالية ، ١٩٦٢ .

**شرارة ، عبداللطيف**

« عاشقة الليل للآنسة نازك الملائكة » ، مجلة الاديب ، العدد ٣ ( بيروت ، آذار ١٩٤٨ ) ص ٤٩ـ٥٠ .

**صبحي ، محيي الدين**

دراسات تحليلية في الشعر العربي المعاصر ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٧٢ .

**صبري ، خزامي ( خالدة سعيد )**

« في النقد ـ قرارة الموجة لنازك الملائكة » مجلة شعر ، العدد ٣ ( بيروت ، تموز ١٩٥٧ ) ص ٩١ـ٩٧ .

**عباس ، أحسان**

« تطور الاتجاه الفني في شعر نازك الملائكة » مجلة الاديب ، العدد ٤ ( بيروت ، نيسان ١٩٥٣ ) ص ٤٠ـ٤٢ .

**عبدالرحمن ، د. عائشة ( بنت الشاطيء )**

الشاعرة العربية المعاصرة ، منشورات معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

**عبود ، مارون**

١ ـ مجددون ومجترون ، بيروت ، دارالعلم للملايين ، ١٩٤٨ .
٢ ـ دمقس وارجوان ـ تعليقات على هامش الشعر المعاصر ، حريصا ، ١٩٥٢ .
٣ ـ على الطائر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ .

**الملائكة ، نازك**

١ ـ عاشقة الليل ، بغداد ، مطبعة الزمان ، ١٩٤٧ .
٢ ـ النائمة في الشارع ، قصيدة نشرت في جريدة الوقت ، العدد ٣ ( بغداد ، ٢١ آب ١٩٤٧ ) ص ٣ .
٣ ـ شظايا ورماد ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٩ .
٤ ـ « نازك الملائكة تخرج عن صمتها » مجلة « المجلة » العدد ١ ( بيروت ، شباط ١٩٥٧ ) ص ٢٨ـ٢٩ . مقابلة أجراها معها حسين طقيش ، في بغداد .
٥ ـ قرارة الموجة ، بيروت ، منشورات دار الاداب ، ١٩٥٧ ، ( طبعة ثانية ، بيروت ، منشورات دار العودة ، ١٩٧١ ) .
٦ ـ قضايا الشعر المعاصر ، بيروت ، منشورات دار الاداب ، ١٩٦٢ .
٧ ـ « شاعرة العراق الكبيرة نازك الملائكة » مجلة البيان ، العدد ٣٥ ( الكويت ، شباط ١٩٦٥ ) ص ١٤ـ١٧ . مقابلة أجراها معها د. عبدالواحد لؤلؤة ، في الكويت .
٨ ـ مأساة الحياة وأغنية للانسان ـ مطولة شعرية ، بيروت ، منشورات دار العودة ، ١٩٧٠ .